مجلة أبوليوس
المجلد 08 العدد 01 – جانفي 2021
الصفحات: 38- 49

"ليـون الإفــريـقي" والتخييل التاريخي: التمثّل والهوية والخلفيات السّياسية

« Leon the African » The Historical Fiction, Representation, Identity, and Political Background.

رشيد الإدريسي *
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بن مسيك ، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء/ المغرب
idrissy@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/06/30 تاريخ القبول: 2020/10/04 تاريخ النشر: 2021/01/31

ملخص البحث:

هذه الدراسة تعمل على تحليل رواية أمين معلوف "ليون الإفريقي" التي تدخل في إطار رواية التخييل التاريخي. والأهداف التي ترمي للتوصل إليها تتمثل في كون هذه الرواية لا تستحضر التاريخ وتحصره في الماضي، بل تعمل من خلاله للإجابة على أسئلة معاصرة، لها علاقة بالصراعات الثقافية العالمية ولها علاقة بوضع صاحبها بوصفه لبنانيا عربي الثقافة وفرنسيها، وتعمل الدراسة على ربط الرواية بالهوية وبأبعادها السياسية وخلفياتها المتعددة التي لا يمكن الإلمام بها إلا باعتماد استراتيجية تقارب النص من زاوية سيميائية تأويلية تستحضر الكثير من مكونات الموسوعة الثقافية التي بدونها يستحيل استخراج مقاصد النص ومقاصد المؤلف التي يتحول معها التاريخ إلى مجرد ذريعة لا غير.

الكلمات المفتاحية: التمثل؛ الهوية؛ التاريخ؛ التخييل؛ الصراع اللغوي؛ الآخر؛ الذات؛ الهيمنة

Abstract:

This study explores Amin Maalouf's novel "Leon the African", as a historical fiction novel. The novel does not evoke History and confine it to the past; rather, it seeks through answering not only contemporary questions inherent to World cultural conflicts, but also the writer status as a Lebanese of mixed cultural upbringing, Arab and French culture. The study leans on linking the novel to identity, its political dimensions and its multiple backgrounds, which implements a strategy of approaches the text from a hermeneutic perspective. This approach rests on a deep background knowledge that enables to single out the illocutionary acts of the script and the author's intents, making History a mere pretext.

Keywords: *Identity, History, fiction, linguistic clashes, the other, the self, hegemony*

* المؤلف المراسل

بين المعرفي والجمالي

يذهب الكثير من النقاد والأنثروبولوجيين[1] إلى أن الأدب ليس مجرد قول الهدف منه تحقيق المتعة وحدها، وذلك عن طريق مراعاة خاصية الأدبية وبناء العوالم الممكنة التي يتفاعل معها القارئ متوقعا ومتمما ومقايسا، بل هو قول ينطوي على معرفة حقيقية لا تقل أهمية عما تقدمه النصوص النظرية الكبرى التي يكتبها صاحبها بوصفها عملا فكريا. والبعض يذهب بهذا التصور إلى أقصى حدوده فيعتبر أن كل النصوص الأدبية، بدون استثناء، تقف على قدم المساواة فيما يتعلق بتوفرها على هذه المعرفة، إلا أن البعض الآخر يرفض ذلك ويعتبره نتيجة لوجهة نظر تقوم على نوع من النسبية المفرطة التي تساوي بين كل الإنتاجات الثقافية، والتي تصل أحيانا إلى حد المساواة بين عمل فكري من جهة ورواية تطلبت من صاحبها سنوات من الاشتغال وحكاية كتبت بماء الورد، ولم يقم صاحبها سوى بتكرار سناريوهات معلومة لا تكشف جديدا ولا تخلخل معهودا، من جهة أخرى. ورغبة في تجنب هذه النسبية[2] المفرطة، قصر البعض إمكانية استخراج معرفة حقيقية من الإنتاجات التخييلية، على المؤلفات الكبرى التي حظيت بالاعتراف من طرف المؤسسات الثقافية واكتسبت نوعا من الشرعية في هذا السياق الثقافي أو ذاك.

ويمكن أن نستحضر، إذا ما أردنا أن نضفي مزيدا من الدقة على معرفية التخييل، طبيعة العمل الأدبي وكذا ما يطرحه من موضوعات، في علاقة بالسياق الفكري الذي انبثق منه وفي علاقة بالخلفيات التي تحكمت في صاحبه. وفي هذه الحالة، يمكننا أن نَعْرف بوضوح إن كان يصلح أن يُفَكر فيه من هذه الزاوية، أم أنه من الأولى البحث فيه عما يحقق المتعة واللذة لا غير، وبالتالي الاكتفاء بالوقوف عند بعده البلاغي الجمالي، واستحضار البعد النفسي للقارئ وذاتيته واستيهاماته المغالية[3].

تَمَثُّل الهوية

انطلاقا من هذه الزاوية، يمكن اعتبار البحث في تمثل الهوية في الأعمال الأدبية، من بين الدراسات التي تدخل في الرؤية العامة التي تعتبر الأدب، بكل ما يتضمنه من نصوص، محفلا لاستخراج معارف ذات علاقة بموضوعات مختلفة تتقاطع مع ما يطرحه حولها الفلاسفة والمفكرون. ومن أجل التمكن من تحقيق هذا الهدف، يتطلب الأمر، إلى جانب النص الخاضع للتحليل، استحضار المعطيات المرتبطة بما هو سياسي وتاريخي ونفسي واجتماعي، بالإضافة إلى تفعيل مفاهيم ذات علاقة بالسيميائيات والتلقي والأنثروبولوجيا... بهدف استخراج التمثلات والتناقضات الأيديولوجية التي تعتمل داخلها وأشكال تلقي هذه التمثلات والتوترات بين تأويل وآخر[4].

والرواية من الأجناس الأدبية التي تسعف في إنجاز هذا النوع من المقاربات لكونها، في الحالات الناجحة، تسمح بتناول القضايا الفكرية من خلال الأحداث والشخوص، كما قد تطرحها أحيانا بشكل مباشر كما هو الحال في بعض الروايات الفلسفية أو التاريخية. وهي تسعف كذلك في تحقيق هذا الهدف بسبب الحرية في الإبداع التي تتيحها لكاتبها والحيز الواسع الذي تمنحه له لـ "مناقشة" أعقد القضايا الفكرية واللعب بالأحداث كما في حالة التخييل التاريخي خاصة، ونظمها بشكل يجعل الروائي يحصل على التمثل الذي يعمل على إيصاله إلى القارئ وإقناعه به. وهذا تحديدا هو ما نجده في رواية "ليون الإفريقي" لأمين معلوف، التي سنعمل هنا على مقاربتها لاستخراج التمثل الذي قدمه معلوف عن

ليون الإفريقي والهوية التي أسبغها عليه وخلفياتها المعقدة.

"ليون الإفريقي" ذريعة للهوية

تتوفر رواية الكاتب الفرنسي اللبناني أمين معلوف الحاملة لعنوان "ليون الإفريقي"[5]، على الكثير من العناصر التي تجعلها رواية تنطوي على معرفة ذات علاقة بالهوية بشكل مباشر، بحيث لا يحتاج القارئ إلى كد الذهن من أجل جمع الأجزاء التي تشكل هذه الهوية. فهي تهب نفسها للقارئ بشكل يبلغ أحيانا درجة من المباشرة، تجعلها تتقاطع مع كتب المؤلف النظرية التي يحاول من خلالها تقديم تصوره عن الهوية التي يتبناها، والتي يرى بأنها تتميز بالتوازن والانفتاح وتراعي مبدأ العدل. إلا أن هذه الهوية التي تهب نفسها للقارئ مباشرة، والتي جعل أمين معلوف ليون الإفريقي ممثلا ومجسدا لها، يتطلب البحث في خلفياتها الكثير من الحفر والتأويل، وذلك للظفر بما تخفيه من عناصر تعتبر أساسية لفهمها فهما عميقا وفهم أبعادها السياسية، بعيدا عن توجهات واستراتيجيات **و"حيل"** أمين معلوف التي يحاول بواسطتها أن يجعل من تصوره للهوية تصورا "نموذجيا" إنسيا، بحيث لا ترد في ذهن المتلقي فكرة إخضاعه للتفكيك.

إن الاستراتيجية المعتمدة من طرف معلوف في رواية "ليون الإفريقي"، ترمي إلى تحويل القارئ إلى شبه "مريد" يقبل على تبني تصوره للهوية دون نقد ودون استشكال "Problématisation"، بسبب ما يضفيه عليها صاحبها من ثناء ومديح، وهو ما أعاد إنتاجه من قاربوا روايته، لدرجة جعلت القراء يتلقون تمثله بوصفه وصفة خارقة، باستعمالها تُحل كل اختلالات العالم[6] ومشاكله السياسية والثقافية، ويُحل سوء الفهم الذي يطبع علاقات البشر فيما بينهم.

وتكمن قيمة رواية "ليون الإفريقي" في كونها كانت سببا في التعريف بشخصية ليون الإفريقي أو الحسن الوزان، وإخراجه من حيز الدراسات الأكاديمية إلى مجال التلقي الواسع الذي نجد فيه قراء من مختلف اللغات ومختلف المستويات الثقافية، والذين تحول لديهم ليون الإفريقي إلى شبه رمز يحيل على مجموعة من القيم الثقافية التي أَحكَمت ربطها به رواية "ليون الإفريقي". ويمكن اعتبار كل ما ألفه معلوف، فيما بعد، نصوصا تستلهم هذا النص الذي يعد نصا مؤسسا للتمثل الهوياتي الذي يتبناه الكاتب، والذي يطلق عليه تسمية الهوية المُشَكَّلة أو المركبة "L'identité composée"، بحيث يمكننا القول إن ليون الإفريقي ليس سوى ذريعة لتمرير هذه الهوية وإكسابها الشرعية التاريخية.

ومن خصائص هذه الهوية، حسب تصريحات معلوف، الانفتاح والتفاعل وعدم الثبات والحوار والتسامح وخلوها من المركز والمحيط... وغيرها من القيم الأخرى. وسنبين، من خلال التحليل، أن بعض هذه القيم ممكن فقط على المستوى النظري، أما عند إنزالها إلى واقع بعينه، وهو هنا الواقع الفرنسي الذي يكتب أمين معلوف وهو يقيم أو يفكر فيه، فإنها تخضع لعملية تحول، وقد تصبح قائمة على الانغلاق والفرادة والثبات والتمركز... لتتخذ شكل هوية إدماجية، الهدف منها جر كل من يختلف عن "الهوية القوية" إلى حيزها، وتشذيبه من كل ما علق به من مكونات "غريبة" و"أجنبية"، ليصير في الأخير نسخة طبق الأصل من هذه الهوية المهيمنة التي لا تقبل في محيطها أية هوية أخرى تنافسها، أو على الأقل، تتكافأ معها من حيث القيمة والحضور.

التاريخ بوصفه حجة

لقد كان من بين الأسباب التي أضفت على رواية "ليون الإفريقي" كل هذه القيمة في مسار الرواية الفرنسية، كونها تدخل في إطار ما يسمى بالتخييل التاريخي[7]، أي أن صاحبها أمين معلوف عمل من خلالها على استحضار شخصية كان لها وجود في التاريخ؛ أي شخصية "واقعية" يمكن اتخاذها قدوة من طرف القراء في الكثير من أبعادها، والتي من أهمها وأكثرها بروزا البعد الهوياتي. وقد يقال إن تجنيس هذا العمل بوصفه رواية، يجرده من هذه الخاصية التي تجعل شخصيته المحورية متماهية مع تلك التي عرفها التاريخ، وينفي بالتالي أن يتعامل معها المتلقي بوصفها شخصية قابلة للاحتذاء. وهذا بالفعل ما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أثناء عملية قراءة "ليون الإفريقي"، لكن ما هو كائن خلاف ذلك، إذ نلاحظ أن التلقي الغالب على هذا العمل هو ذلك الذي يطابق بينه وبين التاريخ. وربما يرجع ذلك إلى كون أمين معلوف عُرف بوصفه مؤرخا قبل أن يعرف بوصفه روائيا في بداياته الأولى[8]، بالإضافة إلى أن مسار حياة ليون الإفريقي كان مجهولا، فلم يكن لدى المتلقي مرجع شائع يمكن القياس عليه لتبين التخييلي من الواقعي، ولذلك تحول ليون الإفريقي كما شيده أمين معلوف إلى ليون الإفريقي التاريخي، وأصبحت أحداث الرواية تقدم بوصفها أحداثا مطابقة للواقع الذي عاشه ليون الإفريقي، بينما هي مزيج من الحقيقي والتخييلي، وربما كان نصيب التخييلي فيها أوسع من نصيب الحقيقي بكثير.

والتعامل مع هذه الرواية بوصفها تاريخا، لا يقتصر فقط على القارئ العادي الذي لا يستحضر الخلفيات النظرية ذات العلاقة بالتخييل التاريخي، بل يطال حتى القراء ذوي التكوين الأكاديمي والعارفين بطبيعة هذا النوع الروائي[9]. وهذا ما يمكن ملاحظته في الوثائقي: "الرحالة حسن الوزان ـ ليون الإفريقي"[10]، فهذا البرنامج يتم افتتاحه بمقطع من الاستهلال الذي افتتح به أمين معلوف روايته على لسان ليون الإفريقي، وهو استهلال يلخص كل تمثل أمين معلوف لليون الإفريقي، بل يمكن اعتباره بطاقة هوية للهوية التي يتبناها في أغلب كتبه، نظرية كانت أم تخييلية.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الحديث عن ليون الإفريقي في هذا الوثائقي ينطلق من كونه رحالة، واستحضرنا أن الرحلة من خصائصها اعتماد ضمير المتكلم، فإن المتلقي غير المطلع سيتلقى كل المعطيات على أنها حقيقة، وأنه إزاء صوت ليون الإفريقي الذي دَوَّنه بنفسه في رحلته، وأن الأمر يتعلق بنص تاريخي لا علاقة له بالخيال. فمثل هذه البرامج ذات الانتشار الواسع كان لها دور كبير في التحكم في نوع التلقي الذي خضع له ليون الإفريقي الذي صنعه أمين معلوف، لدرجة يمكن القول معها إن ليون الإفريقي "الحقيقي" المتمثل فيما ورد عنه في كتابه "وصف إفريقيا" اختفى، ليحل محله ليون المتخيل الذي أصبح غالبا ومهيمنا، لشدة حضوره الإعلامي ولقيام مسار حياته على حبكات محكمة ذات بداية ونهاية، بينما حياته التاريخية توارت أجزاء منها ولم يتم ذكرها أصلا لتصادمها مع تمثل أمين معلوف عنه، أو على الأقل لعدم خدمتها لهذا التمثل.

أكدنا أعلاه أن رواية "ليون الإفريقي" كتبها صاحبها في الأصل للإجابة عن سؤال الهوية، والهوية كما هو معلوم هي جواب عن سؤال من أنا أو من نحن في حالة الحديث عن جماعة. ويمكن القول إن روايته، من هذه الزاوية، تقترب من رواية الأطروحة التي تقدم شخوصا تجسد أفكارا أو قيما فلسفية وتدافع عنها في وجه الأفكار التي تعارضها. وهذا على عكس بعض الروايات الأخرى التي قد تلزم المحلل بطرح الهوية بوصفها مجرد فرضية لقراءة العمل الأدبي

من بين فرضيات أخرى ممكنة. وهذا ما قد يتطلب جهدا من أجل تحويل هذه الفرضية إلى تصور ملموس، من خلال تحديد مكوناتها من داخل الرواية ومحددات هذه المكونات وقراءة كل ذلك قراءة منسجمة؛ أي بناء تشاكل انطلاقا من هذه الفرضية. وخاصية التاريخ التي أضفيت على رواية أمين معلوف، والتي ليست سوى التمثل الذي شيده عن ليون الإفريقي، هي حجة لتسويغ هذا التمثل، على اعتبار أن التاريخ له ثقله لدى المتلقي، وهو يُروى ليُقتدى بجوانبه المشرقة وليعاد إنتاجها في سياقات مختلفة، والتي من بينها السياق الذي كتب فيه أمين معلوف روايته والسياقات التي سوف تليه.

خطوط عريضة

إن التاريخ في رواية "ليون الإفريقي" يحضر إذن، وهو في حد ذاته، حجة على صحة تمثله الهوياتي، وذلك لأنه يشرعن لهذه الهوية ويضفي عليها نوعا من الجاذبية والسحر. والتاريخ هنا لا تستحضر إلا بعض عناصره، كما يعاد تشييدها وملء فراغاتها وترتيبها، بحيث تجيب عن السؤال: ما الهوية التي يجب علينا تبنيها اليوم لكي نتجنب مخاطر الصراع؟ التاريخ يحضر بوصفه خطوطا عريضة لا غير، أو هو يحضر بوصفه متنا حكائيا حسب تعبير الشكلانيين الروس.

ويمكن تلخيص هذا المتن في شخصية تاريخية هي شخصية الحسن الوزان الذي ولد بغرناطة بالأندلس بتاريخ 888 هـ 1483م[11]، وتوفي سنة 962هـ 1555م[12]. وقد انتقل مع أسرته وهو ما زال طفلا إلى فاس واستقر هناك ودرس في القرويين وعمل في مارستان سيدي فرج ككاتب، كما عمل مع أبيه في جمع الضرائب، وأتيحت له الفرصة للاقتراب من محمد الشيخ الوطاسي ومحمد السعدي. وسنة 1518، أثناء عودته من أداء مناسك الحج، سيلقى عليه القبض بالبحر الأبيض من طرف أحد القراصنة المنتميين لفرسان القديس يوحنا، وسيقدمه هدية للبابا يوحنا ليون العاشر الذي سيعتني به ويعرض عليه المسيحية فيتنصر، وانطلاقا من هذه الحادثة سيصبح اسمه هو Jean Léon L'africain أو كما يُتَرجم "يوحنا الأسد الإفريقي". وأثناء إقامته في إيطاليا، سيتفرغ للكتابة والترجمة وسيؤلف كتابه "وصف إفريقيا" الذي يعتبر الكتاب الوحيد الذي يقدم معلومات عن حياته، وهو الذي ساهم في شهرته وفي صنع مجده. بعد سنة 1527 عقب حصار وتدمير روما من طرف جيوش شارل الخامس، سوف يهرب ليون عائدا إلى شمال إفريقيا، كما يؤكد الكثير من المؤرخين اعتمادا على بعض المؤشرات، لتنتهي حياته في ظروف لا أحد يعرف عنها أي شيء.

هوية بلا هوية

استنادا إلى هذه الأحداث، يبني معلوف الجواب عن سؤال ما الهوية، والجواب يقدمه أمين من خلال اعتماد مجموعة من الأحداث التي تتمثل ليون الإفريقي بوصفه كائنا هجينا خلاسيا متعدد التكوين سليل الامتزاج والتفاعل. ونجد ذلك مجسدا في أسماء الشخصيات وفي الجغرافيا وفي التنقل من فضاء إلى آخر، وفي المصاهرات بينه وبين نساء من أصول مغربية وتونسية ومصرية وتركية وإيطالية. لكن بالإضافة إلى هذا الجزء من التمثل الذي لا يطرح أي إشكال، هناك جزء آخر يتم استحضاره وتعطى له الأولوية في مستهل الرواية، وهو الذي يعبر عنه ليون الإفريقي مباشرة بضمير المتكلم، بوصفه يتولى عملية الحكي وبوصفه الشخصية المحورية المجسدة لهذه الهوية.

ورد في مطلع رواية "ليون الإفريقي" ما يلي: "خُتِّنت، أنا الحسن بن محمد الوزان، يوحنا – ليون دو مديتشي، بِيَد مُزَيِّن[13] وعُمِّدت بيد أحد الباباوات، وأُدعى اليوم "الإفريقي"، ولكنني لست من إفريقيا ولا من أوروبا ولا من بلاد العرب. وأُعرف أيضا بالغرناطي والفاسي والزياتي، ولكنني لم أصدر عن أي بلد، ولا عن أي مدينة، ولا عن أي قبيلة. فأنا ابن السبيل وطني هو القافلة وحياتي هي أقل الرحلات توقعا."[14]

إن هذا المقطع المُجْتَزَأ من مطلع الرواية، يقدم لنا الهوية بوصفها فراغا وليس تعددا كما يؤكد على ذلك أمين معلوف في كتبه النظرية، وكما يؤكد على ذلك بعض الدارسين. فأمين معلوف يمزج بين اللاهوية والتعدد، ويؤكد على أن الهوية يجب ألا يكون لها مركز، وإلا تحولت إلى أداة قد تؤدي إلى الصدام. وهذا التمثل الذي يقدمه عن (الوزان/الهوية)، تمثل أغلب عناصره مستقاة من التصورات الما بعد حداثية التي تؤكد على أن الأنا ليس شيئا ولا يمكن أن يكون أبدا شيئا، ولا يستطيع أن يكون شيئا، لكونه يحمل في داخله كل العالم[15]. وهذه الخلفية الفلسفية التي لا ينتبه إلى مصدرها الكثير من النقاد، تجعلهم يتصورون أن ليون الإفريقي كان كذلك، بينما هو بهذا الشكل، لا يعدو أن يكون تشييدا من ابتكار أمين معلوف، بتأثير من النظريات الما بعد حداثية، وبفعل ما عاشه في بلده الأصل لبنان الذي عرف حربا أهلية ساحقة أدت فيها الهويات الطائفية المتصارعة فيما بينها بشكل دموي، إلى إطلاق شرارتها الأولى. وهذا ما دفع معلوف إلى الاحتراز من الهوية القائمة على **التراتبية** والدعوة إلى الهوية المنفتحة والتي عند الحفر فيها، نكتشف أنها لا تلغي التراتبية، بل تعمل فقط على إعادة ترتيب عناصرها، أخذا بعين الاعتبار السياق الجديد الذي ترتبط به، والمتمثل في السياق الفرنسي.

إن الهوية التي لا تراتبية بين عناصرها كما يقدمها معلوف من خلال تمثله للوزان ممكنة فقط، كما قلنا، على المستوى النظري، أما على المستوى العملي وعندما نكون في إطار ثقافة بعينها وفي علاقتها بالثقافات الأخرى، فإن التراتبية تفرض نفسها. بتعبير آخر يمكننا القول إن الهوية التي تضم كل شيء ولا شيء، لا وجود لها إلا على المستوى الذهني المجرد، إذ ما إن يُعَبَّر عنها حتى تصبح ممتلئة، لأنه لا يمكن أن يعبر عنها إلا بواسطة اللغة. واللغة هي فكر كما نعلم، لذا بمجرد أن يعبر عنها بلغة ما تصبح هوية ممتلئة مُحَيَّزة، تضم مجموعة عناصر تربط بينها علاقات وتقوم على قسط من التراتبية. إن الهوية أصلا ما سميت كذلك إلا لأن لها عناصر تُعرف بها، وهي لا تتحول إلى هوية قاتلة إلا عند ملئها بمقدار من التعصب وجرعة من الإقصاء الذي تَحْقِن به حامليها، فالأمر لا يتوقف على كون الهوية فارغة أم ممتلئة لتكون مسالمة أو قاتلة. لذلك نقول إن نوع الهوية الذي يجسده ليون الإفريقي هو هوية مستحيلة عمليا، وطرحها نظريا بهذا الشكل يرمي إلى تحقيق أهداف خفية، كَشْفُها رهين بتأويل ما يستدل به معلوف من "حجج" وأحداث تاريخية.

الانتماء المهيمِن

لا يمكن فهم تمثل أمين معلوف لليون الإفريقي دون ربطه بكتبه الأخرى، ودون استحضار الشروط التي أحاطت بالكاتب وهو يشيد هذا التمثل، ويمكن إضاءة بعض هذه الخلفيات، بالرجوع إلى ما كتبه معلوف في مؤلفيه "الهويات القاتلة"[16] و"بدايات"[17]. أشرنا أعلاه إلى أن تمثل معلوف محكوم بالخلفيات الفكرية الما بعد حداثية، ونظرا لخلو الرواية من الحوارية وتعدد الأصوات التي تجعل الروائي على مسافة واحدة من كل الشخوص والتصورات، فإن

ذلك يجعل الرواية كما سبق أن قلنا أقرب إلى رواية الأطروحة، مما يلغي فرصة إخضاع هذا التمثل للنقاش من داخل العوالم الروائية، على غرار ما سجله ميخائيل باختين في تحليله لروايات دوستويفسكي. كما أشرنا إلى أن معلوف محكوم في تمثله هذا بوصفه فرنسيا له أصول عربية لبنانية، وبوصفه عانى من عنف الحرب التي امتدت لسنوات، لينتقل بعد ذلك للاستقرار في فرنسا وحمل جنسيتها. فانتقال معلوف جغرافيا هو خطوة لانتقاله هوياتيا، وهذا الانتقال الهوياتي قد يُنظر إليه بوصفه تنكرا للأصل أو الجذور، ولذلك فمن أجل تسويغه، فإن الأمر يتطلب خطة مرحلية تتمثل في عملية تسوية كل عناصر الهوية تمهيدا لاستبدال البعض بالبعض الآخر، وإفراغها إن اقتضى الحال، استعدادا لملئها بمحتوى آخر.

ففي هذه الحالة سنكون إزاء هوية بلا هوية، هوية فارغة حتى وإن ضمت كل العالم، والهدف من هذه الاستراتيجية هو التمهيد لملئها بمحتوى جديد يتمثل على أرض الواقع في المحتوى الفرنكوفوني. ويظهر هذا بوضوح في لغة معلوف العنيفة التي يستعملها عندما يُطرح عليه سؤال ما الثقافة التي تحظى لديه بالأولوية: أهي الثقافة العربية أم الثقافة الفرنسية؟ حيث يرفض الإجابة عن هذا السؤال، والحال أن الجواب واضح، إنها اللغة التي يكتب بها. فالتهرب من الجواب هنا هدفه إخفاء التراتبية التي تتحكم في الهوية التي يتبناها عمليا، والتي لا يمكن التخلص منها إلا على المستوى النظري.

يقول أمين معلوف معلقا على تصوره لهويته، وهي ذاتها الهوية التي جعل ليون الإفريقي معبرا عنها وناطقا باسمها: "أحيانا، عندما أنتهي من شرح مفصل، للأسباب الدقيقة التي تجعلني أتبنى كليا مجمل انتماءاتي، يتقدم أحدهم مني ليهمس لي واضعا يده على كتفي: كنتَ محقا إذ تحدثت على هذا النحو، لكن ما الذي تشعر أنك تنتمي إليه أكثر في قرارة نفسك؟"[18]. وهذا السؤال مشروع حسب التحليل المضاد الذي قدمناه أعلاه، لكن معلوف ينتفض ضده بطريقة عنيفة (قاتلة) كتلك التي استعملها وهو يتحدث عن بتر أحد مكونات هويته في الكتاب ذاته. يقول معلقا على ذلك: "جعلني هذا التساؤل الملح أبتسم لفترة طويلة. ولم أعد أبتسم له اليوم، إذ يبدو لي أنه يكشف عن رؤية للبشر شائعة جدا وخطيرة في نظري. عندما أُسأل عما أنا إياه في قرارة نفسي، فهذا يعني أن لكل إنسان قرارة نفس، انتماء واحدا مهمًّا، هو حقيقته العميقة بشكل ما، جوهره، يتحدد عند الولادة مرة وإلى الأبد، ولا يتغير أبدا؛ كما لو أن الباقي كل الباقي، أي مسيرتُه كرجل حر، وقناعاته كمحصلة لا تهم في شيء"[19]. إن السؤال محرج لأنه يبطن أن السائل يفترض أن هناك مكونا مهيمنا ومكونا مُهَيمَنا عليه، وهذا ما لا يريد معلوف أن يعرفه المتلقي، ويظهر أن المكون المُهَيمِن بالنسبة إلى معلوف كما بالنسبة إلى ليون الإفريقي هو تباعا الفرنسي والإيطالي، بينما السائل ينتظر دائما من خلال السؤال أن يسمع عكس ذلك، لأن هوية "الأهل" هي الأولى بالتبئير من غيرها. من هنا نفهم عنف أمين معلوف في الرد والرغبة في إنهاء النقاش المحرج: "لم أعد أبتسم اليوم" أي انتهى زمن التساهل. وكأن أمين معلوف بذلك يقول: لن أقبل بعد اليوم أن يضع أحدهم يده على كتفي ليطرح علي هذا السؤال "المستفز" الذي يكشف عن المآلات السياسية لتصوري لهويتي وهوية أبطالي وأسلافي، وعلى رأسهم ليون الإفريقي. إن "ليون" حسب هذا التمثل، ومن داخل السياق الذي يكتب فيه أمين معلوف، وأخذا بعين الاعتبار ما قد ينتج عنه عمليا، يتحول إلى ليون الفرنسي[20].

الجذور وقلب التراتبيات

للاعتبارات المذكورة أعلاه، رفض أمين معلوف مفهوم "الجذور"، ففي حديثه عن أسرته "آل معلوف" التي أرخ لها في كتابه "بدايات"، يؤكد أن البعض ممن يحملون تصورا مختلفا عن التصور الذي يحمله عن أصوله، قد يفضلون الحديث عن "الجذور" بدل البدايات، وهو لفظ لا وجود له في معجم أمين معلوف باعترافه، "فأنا [كما يعبر بأسلوبه] لا أحب لفظ "جذور" كما لا أحب بشكل أكثر، الصورة التي تثيرها في الذهن. فالجذور تختبئ تحت الأرض، وتتلوى في الطين، وتنمو في الظلمات. إنها تمسك بالشجرة سجينة منذ ولادتها، وتغذيها مقابل عملية ابتزاز تلخصها القولة التالية: "إذا ما تَحَرَّرْتِ مُتِّ"[21]. ثم يضيف: "إن الأشجار مضطرة للخضوع، فهي في حاجة إلى جذورها، بينما البشر عكس ذلك. إذ هم يستنشقون النور ويتوقون إلى السماء، وعندما يدفنون في الأرض فلكي يتحللوا. إن نُسْغ الأرض التي ولدنا عليها لا يصعد من خلال أرجلنا باتجاه رؤوسنا، فأرجلنا لا تصلح إلا للمشي، فالطرق بالنسبة إلينا هي أهم شيء. فهي التي تصحبنا من الفقر إلى الغنى أو من فقر إلى فقر آخر، من الاستعباد إلى التحرر أو الموت العنيف. إنها تَعِدُنا وتحملنا وتدفعنا ثم بعد ذلك تتخلى عنا. وبذلك نهلك كما ولدنا على طريق لم نختره"[22].

لا شك أن معلوف هنا لم يعمل، بلغة السيميائيات، سوى على تنشيط المقومات الإيجابية لانعدام الجذور، وذلك لضرورة نفي تهمة تخليه عن هوية لصالح أخرى؛ الهوية التي ولد ونشأ فيها والهوية التي رحل إليها بانتقاله إلى فرنسا وتبنيه للغتها. وهذا ما نقرأه بين سطور الكثير مما أورده في كتابه "الهويات القاتلة"، والتي من بينها سؤاله عما الذي يشكل جوهر هويته، ورفضه الإجابة عنه. وليون الإفريقي، حسب تمثله له، يحضر من أجل تعضيد تصوره لا غير، بوصفه رحالة عربيا تحول إلى إيطالي كامل، وهذا ما يؤكد أن ليون الإفريقي، كما تم تمثله في هذا السياق، ليس سوى "سلف" لأمين معلوف تم صنعه لغايات. ويمكننا القول، بتعبير آخر، إن ليون الإفريقي هو أمين معلوف وقد ارتدى قناع هذه الشخصية "التاريخية" ليهب الشرعية لتصوره عن الهوية.

إنه بعملية بسيطة يمكن قلب كل هذه المقومات السلبية التي نسبها معلوف إلى الشجرة والجذور، وتعويضها بأخرى أقوى منها، لأنها أكثر رسوخا في المجال التداولي الإنساني. فالجذور جزء من الشجرة وهي ذات اتصال مباشر بالماء الذي هو سر حياتها، والجذور هي التي تهب الشجرة القوة وتُثَبِّتها وتسمح لفروعها بأن تسمو في السماء، لذلك فهي ترمز إلى الصمود بتحملها لعوامل الطبيعة القاسية. لكن تثبيت الجذور للشجرة لا يعني السكون وعدم الحركة، إذ لولا الجذور لما تجددت الشجرة بتجدد أوراقها التي تتساقط لتغذي الجذور ولتعوضها بعد ذلك أوراق أخرى. إن الشجرة ذات جذور تثبتها، لكنها ليست أسيرة أرض بعينها وليست جامدة، بل تنمو وتتنقل وترحل بثمارها وبذورها التي قد تذروها الرياح لتعطي أشجارا أخرى. فمعلوف يرفضها فقط، لأنها تحقق كل ما يصبو إلى أن يحققه تصوره، مع كونها تمزج بين الحركة والاستقرار بين الثبات والتغير، وذلك لأن استقرارها يفضح تصوره الذي يقوم على الاجتثاث الذي يتم تمريره بشكل خفي، ويفضح هويته بوصفها هلامية وفارغة وعابرة، لصاحبها الرغبة في أن "يَعْرَى" منها ليرتدي هوية أخرى ويضمن المصالح السياسية المرتبطة بها.

اليرقة والفراشة

عند هذه النقطة من التحليل يمكننا القول إن تمثل أمين معلوف لليون الإفريقي وللهوية التي جعله مجسدا لها، اعتمد فيه فقط على جزء من معطيات الفكر المابعد حداثي بينما أهمل الجزء الآخر، على الأقل كما يتجسد لدى بعض الدارسين الذين يظهر أنه استفاد منهم. فهذا الفكر، حسب التصورات المعتدلة، أولى أهمية للثبات والتحول في ذات الآن، ذلك لأن التحول والثبات لا يمكنهما أن يكونا مطلقين. وهذا ما أوضحه إدغار موران من خلال حديثه عن رؤيتنا لألبوم صورنا من الولادة إلى الآن، والوقوف على التغيرات التي طرأت علينا والتي تنطوي على نوع من المفارقة المتمثلة في الثبات والتغيير. فالتغيير يتجلى من حيث أن صور الألبوم تعكس التحولات التي طرأت على شخصنا من الولادة إلى الآن، والثبات من حيث أن هذه الصور تعبر عنا أي عن هويتنا، وعن ذلك الرضيع الذي كناه في الماضي والذي هو نحن الآن.

ولتأكيد هذه الحقيقة، يلجأ إدغار موران إلى الاستنجاد بالبيولوجيا فيشير إلى أن خلايا جسمنا لا تتوقف عن الموت وفي الآن نفسه تولد خلايا جديدة، ومعنى ذلك على المستوى الخلوي أنني، يقول موران، بشكل دائم لست أنا هو أنا. جسديا أنا دائم التحول من الطفولة إلى المراهقة إلى البلوغ، ومع ذلك أحتفظ بهويتي الأساسية كفرد. ومثال اليرقة التي تحيط نفسها بشرنقة توضح هذا التصور أكثر[23]، فبعد مجموعة من التحولات التي تخضع لها وتغيير بعض أعضائها مع الإبقاء على جهازها العصبي، تخرج هذه اليرقة في شكل فراشة أي كائن جديد، ومع ذلك يظل هذا الكائن هو هو، بمعنى يحافظ على هوية ذات خصائص جديدة. الهوية إذن تتحول مع الحفاظ على الكثير من المكونات، على عكس ما نجده لدى معلوف الذي يركز على التحول وحده لتحقيق أهداف سياسية يحاول إخفاءها ببلاغة بارعة.

الكيل بهويتين

إن معلوف بتمثله لليون الإفريقي على هذا الشكل، يستهدف تسهيل عملية التحول من هوية إلى أخرى هي الهوية الفرنسية القوية، وليس جعل الهوية أكثر انفتاحا، وهو معني بذلك مباشرة بوصفه لبنانيا عربيا. وهذا عامل ذاتي، يضاف إليه عامل موضوعي له علاقة بالسياق الفرنسي الذي انخرط فيه معلوف والذي يعمل، من خلال هذا التمثل، على خدمته لإثبات وفائه لهويته الجديدة. فمعلوم أن فرنسا تجد صعوبة في إدماج وإذابة المهاجرين من ذوي الأصول المغاربية والعربية، لدرجة جعلت أحد رؤسائها يذهب إلى أن من يرفض الذوبان في الهوية الفرنسية فلا مكان له في فرنسا، والذوبان هو التخلي المطلق عن هوية (البداية/الأصل) لصالح الهوية المستقبِلة، وهو المشروع الذي حمل اسم الهوية الوطنية، والذي ينظر إلى الهوية بوصفها شمولية لا تقبل التجزيء. وهذا ما عبر عنه الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي بقوله: "إن الهوية هي كذلك نمط حياة. إن فرنسا تُعَرَّف بجغرافيتها ولغتها وتاريخها، ولكن كذلك تُعَرَّفُ بممارساتها الثقافية والفنية، وهي ذات علاقة بالطبخ والعادات والأناقة والحريات وقواعد مدنيتها وطقوسها"[24]. وهو يورد كل هذه التفصيلات على اعتبار أن الملتحق بهذه الهوية مطالب بأن يراعي كل هذه الجوانب، وإلا فهو يقصي نفسه منها. هذا فقط من داخل السياق الفرنسي، وإلا فإن التحليل يجب أن يتجاوز هذه الحدود، فآثار تمثل أمين معلوف على شعوب المستعمرات الفرنسية القديمة يلزم استحضاره هو الآخر من أجل فهمه فهما عميقا، على اعتبار أن الهوية الفرنكوفونية تتخذ تمثل معلوف

وسيلة لخلق الاستعداد النفسي للتخلي عن هوية "البدايات" في هذه المستعمرات القديمة واقتلاعها فيما بعد لأخذ مكانها. وبدون استحضار هذه الأبعاد والمستويات في التحليل، فإنه يظل سطحيا، وهو ما نلاحظه لدى الكثير ممن قاربوا هذه الرواية وغيرها من روايات وكتب أمين معلوف، والذين يكتفون بنقل أقواله وأفكاره أو ترديدها بأسلوب مختلف لا غير.

وعلى الرغم من كل ما يقال عن هذه الهوية الشمولية وما تحاط به من تلوينات ودلالات تحاول أن تجعل منها هوية معتدلة منفتحة، إلا أن التصريحات التي تصدر حولها من طرف بعض السياسيين، في أوقات الأزمات، تكشف عن حقيقتها بوصفها هوية مفترسة تعمل على استيعاب الآخر. والاستيعاب"Assimilation" هنا معناه كما قلنا هو التذويب والصهر بشكل مطلق، وهذا ما يؤكده السوسيولوجي الديمغرافي باتريك سيمون بقوله: "إن مفهوم الاستيعاب يستند إلى استعارة ذات علاقة بعملية الهضم، إذ من المفترض في الجسم الاجتماعي والمؤسسات أن تهضم الوافدين الجدد وأن تحولهم إلى فرنسيين. والهدف هو ألا يتم تمييزهم بشكل كامل داخل البنية الاجتماعية، وأن تزول نهائيا خصوصياتهم الثقافية أو الدينية أو الاجتماعية، لكي يصبحوا شبيهي الفرنسيين من جميع النواحي"[25].

إن تمثل معلوف للوزان يصب في صالح هذه الهوية، على الرغم من كونه يدعي معارضتها. التعدد إذن مجرد منطلق وتسهيل لعملية الهضم، لأن الهوية لها حدود، وحدودها تضمنها مؤسسات الدولة الفرنسية التي تطرح مشروع الهوية الوطنية "L'identité nationale" في مراحل مختلفة من التاريخ، كلما أحست بأن الحدود آيلة للسقوط أو آيلة للاختراق. ويكفي أن نشير إلى أن هذا التمثل الهوياتي المرتبط بليون الإفريقي والذي يحقق أهدافه الخفية في مواجهة الثقافات "الضعيفة"، يأخذ مكانه بشكل رسمي، تصور ممتلئ ثابت يتميز بالمحافظة المفرطة والحدود والأسيجة والجذور الواضحة، عندما يتعلق الأمر بمواجهة ثقافة قوية. ويمكن التمثيل لذلك بما يسمى بالاستثناء الثقافي "L'exception culturelle"، والذي بموجبه تتم حماية الثقافة الفرنسية من تهديد الثقافة الأمريكية القوية، وهو يقوم على ضرورة التفكير في وضع قانوني واقتصادي خاص بالثقافة وحمايتها من افتراس (الثقافة/الهوية) الأقوى.

إن أمين معلوف جزء من هذه المؤسسات الثقافية والسياسية ذات النزعة الحمائية، والتي تعرضت للكثير من النقد الذي وجهه إليها مثقفون يشتغلون من خارج النسق الثقافي والسياسي الفرنسي، وهذا النقد هو ما لخصه الروائي ماريو فارغاس يوسا بقوله: "إن الشيء الأشد أهمية الذي تعلمته هو أن الثقافات لا تحتاج إلى الحماية من طرف البيروقراطيين وقوى الأمن، كما لا تحتاج أن توضع خلف القضبان، أو أن تعزل عن بقية العالم بواسطة الحواجز الجمركية لتظل على قيد الحياة وتبقى قوية. إن الثقافات يجب أن تعيش في الهواء الطلق، وأن تتعرض للمقارنات الدائمة مع الثقافات الأخرى التي تجددها وتثريها، مما يسمح لها بالتطور والتكيف مع التدفق المستمر للحياة. إن التهديد الذي يواجه فلوبير Flaubert وديبوسيDebussy لا يأتي من ديناصورات الحديقة الجوراسية[26]، ولكن من عصابة الديماغوجيين الصغار والشوفينيين الذين يتحدثون عن الثقافة الفرنسية كما لو كانت مومياء لا يمكن إخراجها من غرفتها، لأن تعرضها للهواء النقي يؤدي إلى تحللها"[27].

هوية بيت العنكبوت

يتبين، على أساس كل ما قلناه، أن ليون الإفريقي كما تمثله معلوف هو إعادة إنتاج لمسار أمين معلوف ذاته، وذلك عن طريق استعمال قناع شخصية تاريخية، لإكساب الهوية التي يجسدها نوعا من الشرعية والجاذبية، وبذلك فإن ليون الإفريقي يتحول في السياق الذي يكتب فيه معلوف إلى ليون الفرنسي ويُقَدَّم بوصفه نموذجا (يمكن/يجب) أن يحتذى به من طرف المهاجرين. والاحتذاء به هو الخطوة الأولى لتهيء المهاجر لاستقبال هويته الجديدة الفرنسية التي تلغي الهويات السابقة وتعمل على محوها بشكل مطلق، لينتقل الشخص من الغيرية الجذرية إلى الهوية الشاملة. وهذا ما يفسر احتفاء المؤسسات الفرنسية الرسمية وذات النزعة الحمائية بهذا التمثل وبصاحبه بشكل لافت[28]، وذلك لأنه تمثل يساعد الهوية الفرنكوفونية المفترسة "Glottophagie"[29] على هضم الهويات الأخرى "الضعيفة"، بعد إقناع المتلقين بأن هويتهم يجب أن تكون سائلة غير ذات جذور ويجب أن تتغير بإطلاق ودون توقف، ليسهل وضع الجذور التي يختارها الطرف المهيمِن، بينما تظل الهوية الأخرى التي يمثلها الوزان ذات جذور ومركز خفي، وهو ما يبرز واضحا في اللغة والثقافة الفرنسيتين اللتين تهيمنان عندما يتم إنزال هذه الهوية إلى أرض الواقع. فبمجرد أن يدخل أي شخص إلى هذه الهوية، إلا ويجذبه هذا المركز إليه ويفرض عليه التخلي عن كل ما يحمله بداخله والتماهي مع الأقوى، والذي هو هنا حامل الهوية الفرنسية. وختاما فإننا لو أردنا أن نصور هذه الهوية، فإنه من الممكن أن نقول إنها أشبه ببيت العنكبوت، يظهر للوهلة الأولى شاسعا مضيافا متعدد العقد متعدد الغرف، ولكن بمجرد ولوجه تصبح حركة الداخل إليه صعبة، فينقض عليه (العنكبوت/النسق) ليحقنه بمخدر ويُفرِغ بعد ذلك أحشاءه مما فيها، والعنكبوت هنا ليس سوى الهوية القوية المهيمنة (الفرنكوفونية) التي يروج لها معلوف وهو يرفع شعار الهوية المركبة التي يمثلها ليون الإفريقي.

الهوامش والاحالات:

[1] هذا الرأي نجده على سبيل المثال لا الحصر لدى سيغموند فرويد وروني جيرار وغيرهما من الباحثين الذين أولوا للنصوص الأدبية أهمية في التسويغ لنظرياتهم.

[2] غالبا ما يتم ربط هذه النسبية الثقافية التي تساوي بين كل الإنتاجات الثقافية بكلود ليفي شتراوس، وهو ربط يرفضه هذا الباحث وينتفض ضده ويعتبر أن التراتبية ضرورية ولا يمكننا المساواة بين قصيدة لبودلير ومجرد نشيد ما:

Didier Eribon, Claude Lévi-Strauss De près et de loin, Paris, éd. Odile Jacobe, 1988, p. 169.

[3] Roland Barthes, Le plaisir du texte, Paris, éd. Seuil, 2014, p. 33.

[4] Maxime Cervulle et Nelly Quemener, Cultural studies: théories et méthodes, Armand Colin, 2015, p. 8.

[5] Maalouf Amin, Léon l'Africain, éd. Jean-Claude Lattès, Paris, 1986.

[6] اختلال العالم حضاراتنا المتهافتة، هو عنوان أحد كتب أمين معلوف، ترجمة ميشال كرم، بيروت، دار الفارابي، 2009.

[7] نستعمل هنا صفة التخييل التاريخي مع الوعي بأن الكثير من الدارسين أطلقوا عليها في أبحاثهم باللغات المختلفة صفة الرواية التاريخية، وهذا يثبت أن الحدود بين هاتين التسميتين غير واضحة بما فيه الكفاية.

[8] أول كتب أمين معلوف صدورا سنة 1983 هو كتابه عن الحروب الصليبية، انظر:

Amin Maalouf, Les croisades vues par les arabes, éd. J. C. Lattes, 1983.

وقدر صدر مترجما باللغة العربية، انظر:

أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت، 1989.

[9] عندما نتحدث عن الرواية بإطلاق نستعمل لفظة جنس روائي، وعندما نتحدث عن التخييل الروائي التاريخي نستعمل لفظة نوع، على اعتبار أن الجنس أعم من النوع، فالرواية بوصفها جنسا أدبيا تتضمن أنواعا مختلفة كالرواية البوليسية والعاطفية والتاريخية والفلسفية...ألخ.

[10] انظر قناة الجزيرة الوثائقية على اليوتيوب:

https://www.youtube.com/watch?v=kvzpXGbZO-w

[11] التواريخ الأخرى المحتملة لولادته هي: 1486، 1490، 1492، 1494.

[12] التواريخ الأخرى المحتملة لوفاته هي: 957 هـ يقابلها بالميلادي 1550 بالإضافة إلى تاريخ 1554.

[13] الترجمة الصحيحة للفظة "Barbier" المستعملة في الأصل الفرنسي هي حَجّام، لكون هذه التسمية هي التي تطلق في المغرب على من يقوم بعملية الختان.

[14] ليون الإفريقي، ص. 9.

[15] هذا القول للشاعر بيسوا يتقاطع نسبيا مع التصورات الما بعد حداثية، انظر:

Marjolaine Arpin, Identité postmoderne : S'inventer pour mieux se vivre, Revue Ex_situ, 1 avril 2009

[16] Amin Maalouf, *Les Identités meurtrières*, Paris, éd. Grasset, 1998.

[17] Amin Maalouf, Origines, Paris, éd. Grasset, 2004.

[18] نفسه، ص. 9. انظر كذلك الأصل الفرنسي: Les identités meurtrières, P. 10.

[19] نفسه، ص. 10.

[20] بعد إجرائه حوارا مع إحدى المحطات الإسرائيلية، اعتبر ذلك بعض المثقفين اللبنانيين نوعا من التطبيع والخيانة، وكتبت على إثر ذلك صحيفة الأخبار اللبنانية افتتاحيتها بعنوان: "ليون الإسرائيلي".

انظر جريدة الوطن، عدد 11 يونيو 2013.

[21] Amin Maalouf, Origines, éd. Grasset, Paris, 2004, p. 7.

[22] نفسه، ص. 7.

[23] Edgar Morin, La méthode 5. L'humanité de l'humanité, Paris, éd. Seuil, 2008, p. 293.

[24] Sarkozy veut proposer "un nouveau pacte d'assimilation" pour "s'intégrer à la Nation", Revue le point. https://www.lepoint.fr/politique/sarkozy-veut-proposer-un-nouveau-pacte-d-assimilation-pour-s-integrer-a-la-nation-24-05-2016-2041812_20.php

[25] Anne Chemin, « Intégration ou assimilation, une histoire de nuances », Journal Le Monde, 11 novembre 2016.

[26] هذه استعارة المقصود بها الثقافة الأمريكية وإنتاجاتها السينمائية الهوليودية الضخمة.

[27] Daniel Benbassat, «Qu'est-ce que l'exception culturelle française ?», Contrepoints, 16 juin 2013, https://www.contrepoints.org/2013/06/16/128151-quest-ce-que-lexception-culturelle-francaise.
consulté le 10/4/2020.

[28] منح عضوية الأكاديمية الفرنسية لأمين معلوف وخلافته للأنثروبولوجي كلود ليفي شتراوس، مؤشر واضح على هذا الاهتمام، خاصة وأن الدخول للأكاديمية الفرنسية لا يحظى به إلا نخبة النخبة.

[29] هذا المصطلح للساني الفرنسي جون لوي كالفي، انظر كتابه

Louis-Jean Calvet, Linguistique et colonialisme: petit traité de glottophagie, Paris, Payot, 1988.